

موضوعات إسلامية - موضوعات متفرقة - المحاضرة ٠٢٨ : عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها.  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠٢-٢٠

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### التجارة الربحة هي التجارة مع الله :

أيها الأخوة الكرام: كلمة قيمة لابن القيم، وهو من كبار علماء المسلمين، وقد ذكرتها مرات عديدة دون أن أشرحها، لكنني شعرت أنني بحاجة أنا وإياكم إلى شرحها في هذا الدرس، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "عشرة ضائعة لا ينتفع بها".

وقبل أن أذكرها مفصلةً وأشرحها أقول: الإنسان يحب الربح، وتؤلمه الخسارة، يحب أن يجد مبتغاه، ويؤلمه أن يضيع عنه، يحب أن يربح، لذلك من هذا المنطلق قال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾

[سورة الصف : ١٠]

خاطبنا بمفهوم تجاري، هذه التجارة الربحة أرباحاً طائلة رأس مالها.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

[سورة الصف : ١١]

الربح الطائل:

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

[سورة الصف : ١٢-١٣]

تجارة، أية تجارة لها رأس مال ولها مبيع، فإذا كان الفرق كبيراً جداً بين الكلفة وبين المبيع فهذه تجارة رابحة، أي في عالم التجارة اليوم يقدر الربح بثلاثين بالمئة وهو ربح كبير، بينما أكثر الأرباح عند بعض التجار خمسة أو ستة أو ثمانية بالمئة، ومع الاحتكارات الربح مئة بالمئة أحياناً، لكننا سمعنا بربح مليار بالمئة، وما سمعنا ألف مليار مليار مليار حتى ينقطع النفس بالمئة، فأنت والله إذا تاجرت مع الله فربحك ليس له حد، أي اللانهاية، فالعقل البشري يصعب عليه أن يتصور اللانهاية، أي رقم واحد في الأرض وأصفار متتالية إلى الشمس

لمسافة ١٥٦ مليون كيلو متر، وبكل ميليمتر صفر، فهذا الرقم الذي يصعب أن يدركه الإنسان لو أننا نسبناه إلى اللانهاية كان صفراً، عطاء الله مستمر، خالدين فيها أبداً، الدنيا محدودة، ثمانون سنة، أو سبعون أو ستون، أو أكثر أو أقل، كم صلاة صليتها؟ كم درساً حضرته؟ كم عمرة عملت؟ كم فقير ساعدته؟ كله محدود محدود، لكن عطاء الجنة إلى أبد الآبدين. فالإنسان في الأصل يحب التجارة، ويحب الربح، فربنا عز وجل خاطبنا بمفهوم تجاري، قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾

[سورة الصف : ١٠]

تجارة لها كلفة، ولها ربح، كلفتها محدودة وربحها غير محدود، لذلك أدكى تاجر على الإطلاق هو الذي يتاجر مع الله، وأحمق إنسان هو الذي يستغني عن فضل الله، ويطلب الأجر المادي.

حدثني أخ قصة لعلي ذكرتها لكم، إنسان مقطوع بسيارته مع أهله بطريق، في أحد أيام الجمع، نساؤه كلهن محجبات، انقطع لأنه يحتاج إلى رافعة لإصلاح عجلة السيارة، الطريق بداية صعود شديد، فكل السيارات تأخذ عزماً من أجل أن تصعد، وقف ساعة، ساعة ونصف، أو ساعتين، ولا أحد يقف، أخيراً وقف شخص، بعد انتظار ساعتين، فطلبوا منه رافعة، فقدمها لهم، وقال لي الأخ المقطوع: بقيت أحدث نفسي ببطولته، ومروءته، ورحمته، وإيمانه، ونجدته، وأخلاقه العالية، طيلة إصلاح سيارتي لكن بعدما انتهى من إصلاح العجلة، قال له: اسمح لي بخمس ليرات، قال له صاحب السيارة المقطوع: والله لو طلبت مئة ليرة لأعطيتك - القصة قديمة بالستينات - لكن لبتك لم تطلب هذا المبلغ، ولبتك كنت تتاجر مع الله عز وجل، لكان ربحك عظيماً، لكنه أخذ ربحه في الدنيا، فهذه حماقة حقاً.

ملك قال لمعلم: درّس ابني وأنا أحاسبك؟ فالملك لا يعطي أقل من بيت، هذا أقل عطاء، بيت أو سيارة أو كلاهما، فهذا المعلم أفقه محدود جداً، قال له: يا جلالة الملك علمت ابني ثمانية دروس، ودرس بخمسة ليرة، فقال له الملك: تفضل، ما عرف أن الذي سيكافئه ملكاً، فحينما تتاجر مع أدكى تاجر شيء، وحينما تتاجر مع الناس الخسارة محققة أو الربح ضئيل، وقد يكون هناك أخطار كثيرة جداً.

درس اليوم كلمات بليغات قيمات لابن القيم رحمه الله تعالى يقول: "عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها:"

أول شيء: علم لا يعمل به، لا قيمة له إطلاقاً، إن حصلت العلم، وجلست في مجالس العلم، وكتبت، وحفظت، وأديت امتحاناً، لكنك هذا العلم لم تطبقه، إذاً علم ضائع لا قيمة له، بالعكس كلما تعلمت شيئاً ولم تطبقه كان حجة عليك لا حجة لك، فالإنسان لا يقيّم بقدر ما يعرف، يُقيّم بقدر ما يطبق، وقيمة الإنسان في تطبيقه لعلمه، والله عز وجل يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة الصف : ٢-٣]

حدثنا أخ قال لي: في مدرسة من المدارس الشرعية أستاذ له باع في التدريس، ألقى درساً حول التواضع، وقال لي: ما ترك شيئاً من الآيات، والأحاديث، وأقوال الصحابة، والقصص الهادفة، بلغة فصيحة، وبمنهج واضح، وبتسلسل، وترتيب، وأدلة، قال لي: كان الدرس مذهلاً، فلما انتهى الدرس جلسنا في غرفة المدرسين فجلس بكبر لا يحتمل، وبعجرفة لا تطاق، وبازورار عن الخلق، قد لا يرد السلام، علماً بأن حديثه كان على التواضع، وأنا أقول لكم بكل صراحة وبكلمة قاسية جداً: ليس كل إنسان يخلو من ازدواج شخصية، قد يكون الرجل إنساناً واعياً، وعنده ازدواج شخصية، فالذي يقوله في واد، والذي يفعله في واد آخر، كل إنسان يجد لذة في الحديث عن القيم حتى أقل الناس أخلاقاً، فالحديث ليس له قيمة، ونحن لا نتقدم إلا إذا قيّمنا الإنسان من عمله، أما أن تقيمه من كلامه فلا يصح، فقد يكون أسوأ إنسان على الأرض و يتحدث بالقيم، و الدليل ماذا قال فرعون ؟

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾

[سورة غافر : ٢٩]

فرعون الذي قال:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾

[سورة النازعات : ٢٤]

الذي ذبح أبناء بني إسرائيل، واستحيا نساءهم، وكان طاغية من أكبر من الطغاة في العالم، قال:

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾

[سورة غافر : ٢٩]

فالمعنى أن كل إنسان يحكي بالقيم، والقضية سهلة، أما الفرز الدقيق لما تفعل لا لما تقول. فهذا العلم الذي لا يعمل به ضائع، لا قيمة له، أي إن لم تفكر في تطبيق ما تسمع وفر وقتك، جهد ضائع، وقت ضائع، مشقة ضائعة، أي طريق طويل والثمرة صفر، فهو علم لا يعمل به، لذلك قالوا: الورع حسن لكن في العلماء أحسن، والتوبة شيء حسن لكن في الشباب أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن، والعدل حسن لكن في الأمراء أحسن، والتواضع حسن لكن في الأغنياء أحسن.

## ٢ - عمل لا إخلاص فيه و لا اقتداء :

الآن: عمل لكنه عمل لا إخلاص فيه، فهو ضائع أيضاً.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلَّاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾

[سورة الإسراء: ١٨]

عبدى أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد، علم لا يعمل به فهو ضائع.

الآن: عمل لا إخلاص فيه، يؤتى يوم القيامة بأناس لهم أعمال كالجبال، فيجعلها الله هباءً منثوراً، قالوا يا رسول الله: جلهم لنا؟ والله شيء مخيف، قال:

**((إنهم يصلون كما تصلون، ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))**

[ابن ماجه عن ثوبان]

معنى هذا أنه لا إخلاص عندهم، بل مظاهر، إنسان هدفه أن ينتزع من الآخرين إعجابهم، أن يركز له مكانة اجتماعية عالية، يتظاهر بشيء، هو بعيد عنه في الحقيقة، علم لا يعمل به شيء ضائع، عمل لا إخلاص فيه جهد ضائع.

الآن: عمل لا اقتداء فيه فهو ضائع، كذلك العمل كما تعلمون لا يقبله الله عز وجل إلا بشرطين، إلا إذا كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة، لا يكفي أن أقول: أنا نيتي طيبة، أعمل حفلة غنائية ساهرة حتى أجعل ريعها لدار الأيتام، هذا العمل تبدو النية طيبة لكنه غير صواب، يانصيب خيرى مثلاً، حفلة غنائية ساهرة يرصد ريعها للمساكين والفقراء والمحتاجين، دائماً دقق وتمعن: العمل يجب أن يحوز على شرطين، على نيته الطيبة، و الإخلاص فيه، وعلى موافقته للسنة، وإلا لا قيمة له، إذاً هناك علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص به، وعمل ليس فيه اقتداء بسيد الرسل.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

[سورة آل عمران: ٣١]

مالٌ وفير لا ينفق منه، وهذه من العشرة الضائعة.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾

[سورة التوبة : ٣٤-٣٥]

هنا تفصيل لطيف، قالوا: هذا المال الذي لا ينفق منه، لا يستمتع به جامع في الدنيا، لأنه بخيل، عاش فقيراً ليموت غنياً، ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، لم ينتفع به في الدنيا لأنه كان بخيلاً، ولم ينتفع به في الآخرة لأنه ما قدم منه شيئاً لله عز وجل، فهذا المال الضخم قد يكون وبالاً على صاحبه، و الأغرب من ذلك قد يدخل ورثة غني الجنة بمال مورثهم، ويدخل صاحب المال النار بماله، الذي جمعه وجهد في جمعه وتكديسه دخل النار به، لأنه جمعه من حرام، والذي ورثه ورثه حلالاً، فأنفقه في طاعة الله فدخل الجنة، لذلك قالوا: أندم الناس رجالن، رجل غني دخل وورثته بماله الجنة ودخل هو بماله النار، وعالم دخل الناس بعلمه الجنة- طبقوا كلامه فاستفادوا، فسعدوا، فاستحقوا الجنة- ودخل هو بعلمه النار، فهو اتخذ العلم حرفة، علم ولم يعمل، هو كفتيل الشمع احترقت وأضاءت للآخرين، وهذا المثل ذكره النبي عليه الصلاة والسلام، كالفيتل يحترق ليضيء للآخرين، لذلك مرة فتحت كتاباً فوجدت فيه أربعة أدعية تأثرت بها تأثراً كبيراً، أربعة أدعية.

الدعاء الأول: " اللهم إني أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني " أي أن أدرس، وأتعلم، وأشرح الآية شرحاً دقيقاً، وأبين أبعادها وملابساتها، ومفهومها العام، ومفهومها الخاص، وخلفياتها، والأحكام الشرعية منها، و الذي استمع مني هذا الشرح طبقه، فسعد بهذه الآية، والذي شرح هذه الآية ما طبقها فشقي بنفسه: " اللهم إن أعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما علمتني مني ".  
الدعاء الثاني: " اللهم إني أعوذ بك أن أقول قولاً فيه رضاك أطلب به أحداً سواك " كلام حق، لكن ما قيل هذا الكلام لوجه الله، قيل لاستجداء العطف والإحسان، أو قيل لاستجداء الأموال، أو قيل لانتزاع الإعجاب: " أن أقول قولاً فيه رضاك ألتمس به أحداً سواك " هذه الثانية.  
الدعاء الثالث: " اللهم إني أعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك " أي يوم الجمعة يلبس كلابية بيضاء، والمسواك بالجيب والمسبحة بيد والمصحف باليد الثانية، وقد وضع طاقية على رأسه، وتعطر بالمسك وغدا إلى الجمعة، والله شيء جميل، عطر وجبة ولفة وطاقية ومسك ومسواك ومسبحة ومصحف بالجيبة وأوراد بالطريق، أين كان سهران البارحة ؟ أين كنت؟ ومع من؟ أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، هذه الثالثة.

الدعاء الرابع: " اللهم إني أعوذ بك أن أكون عبرة لأحد من خلقك " فلا أكون أنا قصة للناس، الناس يتسلون بقصتي، ويستفيدون منها، ويتعظون فيها.  
إذا علم لا يعمل به، ضائع، قيمته صفر، عمل لا إخلاص فيه ضائع، قيمته صفر، عمل لا يطابق السنة، لا اقتداء فيه ضائع، قيمته صفر، الآن: مال لا ينفق منه، فلا ينتفع به جامعه في الدنيا، ولا يقدمه أمامه للأخرة.

#### ٤ - قلب فارغ من محبة الله و الشوق إليه و الأنس به :

الآن: قلب فارغ من محبة الله، قلب متصحر، بحياته كلها ما بكى، بحياته ما خشع، بحياته كلها ما اقشعر جلده، ما وجل قلبه، ما ذرفت عينه دمعة، محبةً لله، أو خوفاً منه، أو شوقاً إلى لقائه أبداً، عواطفه كلها أرضية، إعجابه بلاعبي الكرة مثلاً، بالمثلين والممثلات الأحياء منهم والأموات، قلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، أي لا يتلو قرآناً وإن تلاه فلا شعور ديني، ولا حركة وجل وخوف من الله، ولا تأثر، ولا خشية، كأنه يقرأ كلام البشر، يصلي وما لديه أية وجهة لله عز وجل، يذكر الله ولا يتأثر، يجلس في مجلس علم ولا يتأثر أبداً، يحضر عقد قران فيه ابتهالات مؤثرة جداً، لكنه غائب عقلاً وذهناً وعاطفة.

هناك مصطلح جديد خطر في بالي مرة هو: سيراميك، لا يقبل ماءً، ولا صابوناً، وكل شيء يرفضه لأنه لا يعبر عن شيء، ولا يقبل شيئاً، ولا يتأثر بشيء.

هذا الإنسان قلبه فارغ من محبة الله عز وجل، والشوق إليه، والأنس به، أي المؤمن الصادق له ساعة مع الله، له ساعة يخلو بها بالله، له مع الله اتصال، ابتهاج، مناجاة.

قال لي أخ زارني، وقد خرج من عند الطبيب النفسي إلى هذا الجامع مباشرة، يعاني من مشكلة نفسية، فالتقى بطبيب ليس مسلماً، سمع قصته بالتفصيل، فقال له الطبيب بالحرف الواحد أنت مشكلتك أن الله غير راض عنك، أنت شاعر بهذا الشيء ومتضايق، علاجك الوحيد أن تقوم باتصال مع الله، وتستعطفه، وتترجاه، وتستغفره، وتناجيه، مشكلتك مع الله، الطبيب غير مسلم، لكن من خلال القصة فهم أساس الشاب بأن علاقته مع الله طيبة، ثم اضطربت العلاقة، واهتزت، فشعر بالضياح، شعر أن الله لا يحبه، فاضطربت نفسه، فقال لي: أنت من باب أولى أن أتحمم عندك ما دامت القضية معلقة بالدين.

هذا القلب الفارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، أي مستحيل إلا أن يكون للإنسان مع الله أيام حلوة، جميلة، كل إنسان متزوج يقضي عدة أيام بالخطبة عسلاً أو أحلى من العسل. لي صديق تزوج وبعد العرس بقليل أخذ زوجته إلى مكان جميل، أخذها إلى محافظة اللاذقية، قال لي: صار هناك سرور غريب جداً، ثم صارت الحياة عادية، ثم صارت مشكلات بالبيت،

فأحياناً تتفعل و تقول له: لم أر منك خيراً قط، يقول لها ولا أيام "كسب" فتخجل - كسب بلدة جبالية في محافظة اللاذقية - .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه:

**((لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأيت منك شيئاً ، قالت : ما رأيت خيراً قط))**

[ البخاري عن عبد الله بن عباس ]

قلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به.

## ٥ - بدن معطل من خدمته و طاعته :

ثم بدن معطل من خدمته و طاعته.

بالمناسبة سأطرح عليكم هذه المشكلة التي أعاني منها كثيراً، فأني شخص من إخواننا سامحهم الله، يأتيه شخص ليسأله مثلاً عن بيت يحولّه إليّ قائلاً: راجع الأستاذ راتب، والله شيء جميل فماذا قدمت أنت؟ لقد أخرجتني عندما أرسلته إليّ، ولما سمعت قصته وجدتها مؤلمة والله، وما عندي إمكانيات، وسودت وجهي أمامه، وحملتني ما لا أطيق، فأنت ماذا قدمت؟ لا تحمروا وجوه الآخرين، بإخراج كبير، فلذلك لا تعدّها بطولة أن تحول الناس لجهة أخرى، هذه ليست بطولة إن كنت تقدر أن تساهم بشيء ساهم وإلا اسكت، والله لا يحل مشكلات الناس إلا الله، شيء فوق طاقة البشر، فمثلاً: أول ما أنشئ صندوق العافية، كان يلبي كل الحاجات، ثم صار يسدد نصف نفقات العملية، ثم صار يسدد ربع نفقات العملية، أعداد مخيفة، أي حاجات الناس كبيرة جداً، لا يقوى إنسان على حلها وحده، إلا الله تبارك وتعالى.

## ٦ - محبة لا تتقيد برضا المحبوب وامتثال أمره :

الآن: ومحبة لا تتقيد برضا المحبوب وامتثال أمره، فمن الممكن لإنسان أن يدعي المحبة، ويتباهى بالحديث عن محبته، لكن خاضوا بحار الهوى دعوى وما ابتلوا، لا تجده عند الأمر والنهي، لا تجده أبداً، ويدعي محبة الله:

**﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾**

[ سورة آل عمران: ٣١ ]

فالله عز وجل ما قبل دعوى محبته إلا بالدليل، محبة لا تتقيد برضا المحبوب وامتثال أوامره.

**تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في المقال شنيع**

**لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع**

\*\*\*

## ٧ - وقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وقربة :

ووقت معطل عن استدراك ما فرط صاحبه أو اغتنام بر وقربة، وقت ضائع معطل، لاحظ الناس يقعدون بقاء ساعتين أو ثلاثاً، كله كلام فارغ، ما منه شيء، قد يكون حديثهم غيبة ونميمة، متابعة قصص سخيفة، فالمؤمن وقته ثمين جداً، وقته وعاء عمله، أعتقد أن أثنى شيء تملك هو الوقت على الإطلاق، إنه وعاء عملك، والوقت هو رأس مالك الوحيد، الوقت هو أنت، أنت وقت، أنت بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك.

أنا أتمنى على كل أخ كريم أن ينفق وقته إنفاقاً استثمارياً لا إنفاقاً استهلاكياً، أكلنا، ونمنا، وارتحنا، وعملنا نزهة، وسهرنا، وانبسطنا، هذا كله استهلاك، ليس له مردود مستقبلي، أما طلبنا للعلم فقد تسجل لنا، وإن أنفقنا مالنا في سبيل الله تسجل لنا، علمنا تسجل لنا، أمرنا بالمعروف تسجل لنا، نهينا عن المنكر تسجل، كل عمل تنتفع به بعد الموت هو عمل طيب، وكل عمل ينقضي أثره قبل الموت هو عمل ضائع، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر أو قربة. صار عندنا مجموعة هذه الأشياء، علم لا يعمل به، و عمل لا إخلاص فيه، و عمل لا اقتداء فيه، و مال لا ينفق منه، و قلب فارغ من محبة الله، وبدن معطل عن خدمة الخلق، و محبة لا تتقيد برضا المحبوب، و ووقت معطل عن استدراك ما فرطت .

## ٨ - فكر يجول فيما لا ينفع :

الآن: فكر يجول فيما لا ينفع، النبي الكريم دخل إلى المسجد فرأى رجلاً تخلق الناس حوله، قال من هذا؟ قالوا: نساب، قال: وما نساب؟ سؤال للعارف، أسلوب تربوي، قالوا: رجل يعرف أنساب العرب، قال: ذلك علم لا ينفع من تعلمه ولا يضر من جهل به .

قصة من ألف ومئتي صفحة، الشيخ والبحر، ملخصها أن الإنسان أقوى من كل عقبة توضع أمامه، في سفرتي الأخيرة رأيت الأمريكيين بالطائرات يقرؤون كتباً سمكية جداً، لأول وهلة أحسنت الظن بهم، متقفون ثقافة عالية، ثم سألت ماذا يقرؤون، فعلمت أنها كلها قصص، كل واحد يحمل قصة يقرؤها، والله بعض هذه الكتب حجمها ثمانمئة صفحة تقريباً، من الحرف الصغير، انكبوا بالطائرات، بالاستراحات، بالمطارات يقرؤون، قصة حوادث، علاقات، ومحبة، وخيانة زوجية، إلخ.

هذا فكر معطل، أنت ممكن بهذا الفكر أن تسمو إلى الله عز وجل، ممكن أن تصل إلى أعلى مرتبة، تستهلك هذا الفكر في موضوعات سخيفة، وفكر يجول فيما لا ينفع، أنا لا أنتقد طلاب العلم مثلاً لكن إنسان نال دكتوراه وقفها على شاعر غزلي فرضاً، جاهلي، يقول: بقي اثنا عشر عاماً في تحضيرها، أمعقول؟ اثنا عشر عاماً وأنت تفكر بشعر جاهلي أو بالغزل؟ ويقول: أجمل دكتوراه بعمر بن أبي ربيعة، ما شاء الله، اطلب العلم النافع، اشتغل بعلم ممتع، هناك علم



ممتع ونافع، قد تكون تحمل اختصاصاً نادراً له دخل كبير، الآن هناك علم ممتع نافع مسعد، هو العلم الديني، علم ممتع نافع مسعد في الدنيا والآخرة، بالمناسبة إذا الله عز وجل شرف إنساناً تعلق قلبه بالقرآن الكريم، وكلام سيد المرسلين، وقرأ قصص الصحابة الكرام، أعلام الأمة، والله عندئذ لا يستطيع أحد أن ينال من مستواه إطلاقاً.

#### ٩ - خدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك :

والآن: وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله، ولا تعود عليك بصلاح دنياك، أنت تخدم جهة، هذه الجهة لا تعرف الله، وخدمتك لها لا تنفعك عند الله، ولا تنفعك في الدنيا ولا في الآخرة، فأنت ألعوبة بيدها، مسخر لخدمتها، أضعت آخرتك في دنيا غيرك، هذا أندم إنسان على الإطلاق، من ضيع آخرته بدنيا غيره، خدمة بدون مردود، خدمة دون حمد ولا ثناء ولا شكر، وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله عز وجل، أي ممكن أن تخدم أخواً مؤمناً يقول: جزاك الله خيراً، جعل الله هذا العمل في ميزان حسناتك، هذا حسن، ممكن أن تخدم مسجداً، فتقوم بإصلاحات فيه يقولون لك: جزاك الله خيراً، إن شاء الله هذا الجهد يكون نوراً لك في قبرك، ممكن أن تخدم أخواً بحاجة إلى خدمة، تحتسب هذا عند الله، فهناك آلاف الخدمات التي ترتقي بها عند الله، أما أن تخدم إنساناً بعيداً عن الله، لا حمداً ولا ثناء ولا شكوراً، استهلكك استهلاكاً رخيصاً، فهذه خدمة ضائعة، وقالوا: من أعان ظالماً سلطه الله عليه، فالله يؤدبه على ذلك ويكون أول ضحية من ضحايا الذي خدمه.

قال: خدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك.

نعود ثانية لاستعراض هذه الكلمات: علم لا يعمل به، عمل لا إخلاص فيه، عمل لا اقتداء فيه، مال لا ينفق منه، قلب فارغ من محبة الله، بدن معطل عن خدمة الخلق، محبة لا تتقيد برضا المحبوب، وقت معطل عن استدراك ما فرط الإنسان، فكر يجول فيما لا ينفع، خدمة من لا تقربك خدمته إلى الله.

#### ١٠ - خوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله :

الآن: وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله، مرة كنت في احتفال فألقى أحد الدعاة إلى الله كلمة أعجبتني، قال: إنسان على وشك الموت جوعاً، و إنسان عظيم كريم، محسن عطوف، رحيم جاءه بطعام، كان على وشك الموت، أي مغمى عليه، ولقمه الطعام بيده بملعقة، ثم إن هذا استيقظ ووجد أنه قد أكل طعاماً طيباً، وجسمه شبع، فنهض ووجد ملعقة أمامه، قال لها: شكراً لك أيتها الملعقة، أنا مدين لك بالفضل أيتها الملعقة، يا لك من ملعقة ما بعدها ملعقة، طبعاً الخطيب تكلم هذا تعقيباً على الأمطار الغزيرة، فقد قرأ بالصحف: لقد رحمتنا السماء، شكراً لك أيتها السماء،

ماذا في السماء؟ ما فيها إلا الله عز وجل، فكل هذا المقال شكر للسماء، السماء ضحكت، والسماء أنجبت، والسماء أغانت، والسماء قدمت، فقال: مثل هذا الإنسان الصحفي يشبه تماماً هذا الذي كاد أن يموت جوعاً فلما شبع رأى ملعقة أمامه فأخذ يثني عليها، ونسي الذي أطعمه الطعام بالملقعة، فهذا الذي تخاف منه هو نفسه بيد الله عز وجل، شيء مضحك، تخاف من إنسان قبضة الله، خف من الله عز وجل، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله عز وجل وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

أيها الأخوة: كلمات قيمات، عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، عمل لا إخلاص فيه، عمل لا اقتداء فيه، مال لا ينفق منه، قلب فارغ من محبة الله، بدن معطل عن طاعة الله وخدمة عباده، محبة لا تنقيد برضا الله تعالى، وقت معطل عن استدراك ما فرط أو اغتنام بر أو قربة، فكر يجول فيما لا ينفع، خدمة من لا تقربك خدمته إلى الله، ولا تعود عليك بصلاح دنياك، خوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله، وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

### أعظم الإضاعات إضاعتان؛ إضاعة القلب وإضاعة الوقت :

قال: وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان، كنا بعشرة والآن هناك إضاعتان خطيرتان، هما أصل كل إضاعة، إضاعة القلب، وإضاعة الوقت، أخطر إضاعتين إضاعة القلب وإضاعة الوقت، وإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل. مرة كنت جالساً في مكان أنتظر، وكان هناك اثنان إلى جانبي، قال أحدهما: والله فلان حيرنا، بقينا ستة أشهر نحاول أن نفهم منه هل يحب أن تكون تدفئة البيت عن طريق تمديد خارجي أم تمديد داخلي؟ قال: الخارجي أكثر فاعلية، أما الداخلي فأجمل لأنه مخفي، لكنه يخاف أن يعمل داخلياً وتفسد الأنابيب مستقبلاً ويضطر أن يكسر البلاط، ثم أضاف أحدهما: له ستة أشهر في هذا الموضوع، ثم استقر رأيه على أن يجعله داخلياً، وبعد عشرين سنة عندما تفسد الأنابيب يمدد خارجياً، ولا يكسر البلاط، فهل هو ضامن أن يعيش عشرين سنة؟ هذا الإنسان الأمل يملأ كل نفسه ويشغلها.

ذات يوم قال لي شخص ما يلي: أنوي أن أقدم طلب إعاره لبلد عربي كمدرس، في حين أنه يدير ثانوية وكنت أسمع له، قال: سأبقى بهذا البلد خمس سنوات، قلت له: شيء جميل، ثم قال لي: عندما أعود سأنتقعد، وتحسب مدة الإعاره من خدماتي، قلت له: ممتاز، ثم قال: بعد أن أنتقعد أفتح محلاً لبيع الهدايا والتحف، وهذا عمل لا علاقة له بالتموين، قلت له: والله شيء جميل، ثم قال لي: ويكون أولادي قد كبروا، فيعملون بالمحل، وأنا أشرف على المحل صباحاً كل يوم ساعة من الزمن، والعصر كذلك، وقعدت عنده ساعة ثم انصرفت مودعاً وفي المساء كان

عندي درس بمدرسة أخرى وبينما كنت عائداً إلى بيتي رأيت نعوته على الجدران، والله الذي لا إله إلا هو في اليوم نفسه، فما جاء المساء وإلا كان تحت أطباق الثرى، فهذا الذي يتلف القلب، طول الأمل.

إذاً فأعظم هذه الإضاعات إضاعتان، هما أصل كل إضاعة، إضاعة القلب، وإضاعة الوقت، قال شخص: لن أموت إلا بعد زمن طويل، لم؟ قال: أنا أولاً وزني قليل، ونحيف، وأمشي كثيراً، ولا أدخن، وأكلي قليل، و لا أحمل نفسي همّاً، وهذه أهم واحدة، فبعد أسبوع كان ميتاً والله و أنا صادق في هذا، إذاً: أعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة، إضاعة القلب وإضاعة الوقت، وإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء الله عز وجل.

أيها الأخوة: أرجو الله سبحانه وتعالى أن ننتفع بهذه المواعظ، هي كلمات بليغات، عناوينها، علم، عمل، مال، قلب، بدن، محبة، وقت، فكر، خدمة، خوف، عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها، والآن بالمقابل يجب أن يكون العلم معمولاً به، أن نعمل بما علمنا، وأن نخلص فيما عملنا، وأن ننفق من أموالنا، وأن يكون قلبنا مفعماً بمحبة الله، وأن يكون بدننا في خدمة الخلق، و أن يكون الوقت مملوءاً بالعبادات والأعمال الصالحة، والفكر في ذكر الرب، وخدمة أهل الإيمان، والخوف من الله وحده، هذا ملخص الكلمات.

### والحمد لله رب العالمين